

السمات العبثية والأنطولوجية في الرواية العربية

رواية "الواجهة" ليوسف عز الدين عيسى أنموذجا

*The ontological and ludicrous elements of Youssef Ezz El-Din Issa's
Arabic novel The Facade*

د/بوكرت أمال جامعة البليدة 2 الجزائر

المؤلف المرسل: أمال بوكرت amelarabedz@gmail.com

تاريخ النشر: نوفمبر 2022	تاريخ القبول: 2021/11/14	تاريخ الإرسال: 2021/06/04
--------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تقصي مختلف السمات والمميزات الناتجة عن تأثر الأدب العربي بالتيارات الفلسفية الغربية، وأهم انعكاساتها على إنتاجاتهم الأدبية في ضوء الذهنية الفكرية والدينية العربية، ومن منطلق التخيل الإبداعي الجمالي المستند على تصورات فلسفية عميقة، لتمتزج بهذا الحركة الأدبية مختلف المظاهر الأنطولوجية الوجودية بوصفها تيارا فلسفيا تباين المشتغلون بها في رصفها وتصنيفها وتحديد جدواها وجوهرها الحقيقي وحتى طابعها إن كان ذاتيا محضا من خلال تمجيد الذات المنعزلة والمكتفية بذاتها، أو من حيث كونها تحمل شعار خدمة الإنسانية وتحقيق مسعى التكافل والتعاون وحتى التلاحم بين المجتمعات الإنسانية ، وتعد رواية 'الواجهة' نموذجا حيا لمثل هذا التوجه بجل تصوراته ومبادئه؛ بحيث تضطلع هذا الورقة البحثية بالكشف عنه وسبر أغواره.

الكلمات المفتاحية: الوجودية، العبثية، الرواية العربية، التيار الفلسفي.

Abstract:

his study aims to investigate the various features and characteristics resulting from the influence of Arabic literature with Western philosophical currents, and its most important reflections on their literary productions in light of the Arab intellectual and religious mentality, and from the perspective of aesthetic creative imagination based on deep philosophical conceptions, to combine with this literary movement the various ontological and existential aspects as a current Philosophically, to unite the different ontological and existential themes

of this literary movement as a current Philosophically, those involved differed in paving, classifying, and determining its feasibility, true essence, and even character, whether it was purely subjective through the glorification of the isolated and self-sufficient self, or whether it was objective through the glorification of the isolated and self-sufficient self. Alternatively in terms of its slogan of helping humanity and reaching the goal of solidarity, cooperation, and even unification between human societies, the novel "Facade" is a vivid exemplar. For such a strategy, with the majority of its views and principles; As a result, this study article delves into its depths.

Key words: Existentialism, the absurdity, the Arabic novel, the philosophical current.

1-توطئة:

اختار عدد من الفلاسفة على مدار التاريخ استعراض جملة نظرياتهم الفلسفية من خلال السرد في أشكال أجناسية مختلفة، سواء تعلق الأمر بالفلسفة اليونانية إذ أظهر الفلاسفة اهتمامهم بمجالات عدة "لم يكن الفكر اليوناني في بدايته مقصوراً على ما نسميه اليوم فلسفة فلفظة فلسفة في أصلها اليوناني تعني محبة الحكمة... ومن ثم كان لفلاسفة اليونان اهتمامهم بالنواحي الدينية والعلمية والفنون والآداب المختلفة"⁽¹⁾، ركن الفيلسوف اليوناني إلى تقصي المعرفة الشاملة التي يحذوها تساؤله الدائم في شأن ما يدور حوله من ظواهر، فالفيلسوف مضطلع بالرياضيات والفلك والطب... وغيرها، وهناك من الفلاسفة من تمرس في الأدب وبرع فيه واتخذ وسيلة لطرح تصورات ونظرياته "كما ظهر بين فلاسفة اليونان من يمتلكون المواهب اللغوية والأدبية إلى جانب مواهبهم الفكرية مثل السوفسطائيين الذين كانوا في عصرهم علماء البلاغة والنحو والبارعين في فنون الخطابة والجدل وكذلك كان معاصريهم سقراط. أما أفلاطون فكان فيلسوفاً أديباً وضع أول نظرية في النقد الأدبي والفني، وقد وضع أرسطو بعد ذلك نظرية مماثلة لا تزال إلى اليوم إحدى النظريات الكبرى في تفسير الإبداع والنقد الفني"⁽²⁾، وتعد إسهامات أرسطو من خلال كتابه 'فن الشعر' راسخة في عرف النظريات الأدبية "غاية الفن عند أرسطو هي تحقيق التوازن

النفسي لدى الفرد، والتكامل بين أعضاء المجتمع ومن هنا كان الفن بكل أشكاله من ضرورات الحياة البشرية ولقد أثرت فلسفة أرسطو تأثيراً عظيماً للفلسفات التي تلت إذ تأثر النقاد بكتابه فن الشعر فطبق كتاب المسرح الكلاسيكي ضرورة الالتزام بوحدة الحدث ووحدة المكان ووحدة الزمان والعمل الأدبي يجب أن يراعي المعايير الفلسفية الأخلاقية التي جاء من أجلها ⁽³⁾، فاستغلال الأدب من أجل طرح الأطر والمبادئ الفلسفية وتحليلها وتفسيرها أو من خلال دراسة كنه ذلك الأدب ومدى تأثيره على الصعيد الفلسفي والإنساني، ارتبط بدور الفلاسفة أساساً في استثمار ذلك المنفذ الجمالي والفني في الحقل العقلي المنطقي، كل حسب قناعاته ورؤاه المبررة.

لم يتوقف استغلال الفلاسفة اليونانيين للأدب في إيضاح أفكارهم عندهم بل امتد الأمر إلى فلاسفة العصر الحديث، إذ اتبع الفيلسوف الألماني 'فريدريك نيتشه' الطريقة نفسها من خلال مؤلفه "هكذا تكلم زرادشت" الذي فصل فيه جملة تعاليم زرادشت، وصفه 'فليكس فارس' الكتاب بأنه "...أردت أن أنشر في بلاد العرب كتاب 'زرادشت' الذي صدم به نيتشه الفيلسوف الألماني الأشهر تيارات الفلسفات المتناقضة منذ نصف قرن في أوروبا موجهاً الإنسان إلى تلمس مواطن القوة في نفسه لإنشاء الجبارة في المجتمع" ⁽⁴⁾، استطاع نيتشه أن يُحمل شخصيته 'زرادشت' جملة هواجسه وأفكاره وحتى النتائج التي توصل إليها فيما يتعلق بالأخلاق والميتافيزيقا والوجودية، وكذا فلسفة الجمال والتاريخ، والإلحاد والعدمية، واهتم أيضاً بالشعر والتراجيديا من خلال رحلة هذه الشخصية الطويلة في الأرض الشاسعة وتمتعها بهالة قدسية بين المحطين بها "... من هو زارا؟ وبماذا نسميه؟ فلا تتلقون غير السؤال جواباً كما ألقاه أنا. أهو من يعد أم من ينفذ الوعد؟ أهو فاتح أم وريث أهو الطبيب أم الناقاة؟ أشاعر هو أم رجل حقيقة؟ أمحرر أم متسلط؟ أصالح أم شرير؟" ⁽⁵⁾، دعا 'نيتشه' في مؤلفاته إلى الاستعانة بالأدب في طرح مجمل النظريات الفكرية والتخلص من قواعد الفكر التحليلي الصارمة والاستناد على العاطفة في أحيان معينة، فالإنسان في النهاية يتشكل من عقل وقلب وكلاهما يملك سلطة وقدرة على الفرد، ليدحض بهذا الأفكار السائدة بشأن أن الأدب ما هو إلا مجرد وهم صنعه أديب تنقل في بحر مخيلاته، بينما الفلسفة لا تعترف ولا تبحث إلا عن الحقيقة.

كما سار الروائي والفيلسوف الفرنسي 'ألبير كامو' **Albert Camus** على الفكرة نفسها إذ استغل موهبته الفنية حتى يفصل في قناعاته وآراءه الفكرية سواء تعلق الأمر بالفلسفة الوجودية التي انشق عنها وعن مبادئها بالرغم من حضور سماتها وخصائصها في متونه السردية ومقالاته؛ أو تعلق الأمر بالتيار العبثي الذي انبثق عن الموجة الوجودية، من خلال مؤلف 'ألبير كامو' "أسطورة سيزيف"⁽⁶⁾ البطل سيزيف الذي يعاقب من قبل الآلهة بدفع صخرة عملاقة إلى أعلى القمة، غير أنه لا يقوى على إبقائها فوق فتتحرج للأسفل ليعيد دفعها وهكذا تتكرر معاناته بلا نهاية، فيستنجد الكاتب من خلال هذا مدى عبثية محاولة الإنسان لإدراك الغايات والأهداف التي تسير هذا الكون، وكذا مدى عبثية حياته التي لا معنى لها. أما عن روايته "الغريب" التي تقترب أكثر من أسس الفلسفة الوجودية وثوابتها، إذ قدم لها الفيلسوف الفرنسي 'جان بول سارتر' **Jean Paul Sartre** أعظم أعلام المذهب الوجودي قائلاً: "ما كاد غريب السيد كامو يخرج من المطبعة حتى نال أكبر قيمة دفعت الكثيرين إلى القول بأنه خير كتاب صدر بعد الهدنة"⁽⁷⁾ ، كما قدم للرواية 'عبد الله لقديم' معرجاً على أهم الدلالات العميقة التي زخرت بها الرواية حتى هيأتها للحصول على أعلى تقدير من قبل النقاد آنذاك " ... في هذه الرواية يصور لنا كامو الوضع القائم في موطنه الجزائر في تلك الحقبة الاستعمارية أن الإنسان الذي لا يساير رغبة السلطة يوضع في خانة المغضوب عليهم، ويكون غريباً في مجتمعه الذي لم تثبت ذوات أفرادها وجودها الحر. ومن خلال هذا التصوير فهو يدعو إلى إثبات الذات، الذات الإنسانية ونبذ الذات الكلية التي تفرض من خارج الذات الفردية الإنسانية"⁽⁸⁾ ، في المجمل تعد إنتاجات 'ألبير كامو' انعكاساً لما يؤمن به من أفكار ومبادئ، استطاع أن يبسطها للمتلقي العادي عبر متون روائية محكمة السبك والعقدة دون أن تفقد تلك النصوص جمالياتها الإبداعية.

بهذا يتضح للمتتبع لحركية تفاعل الأدب مع الفلسفة أنها مرت بأشواط تجسد فيها التنافر أحياناً والتجاذب أحياناً أخرى، حينما أراد الفلاسفة تغيير تركيب الخطاب الفلسفي بشكل يتواءم مع الواقع وينسجم معه، ومن أجل التدليل على مجمل النظريات من خلال الحوادث الواقعية والهواجس الدائمة التي ما تنفك تستدعي لحظات التأمل والتمعن في

جدوى كل شيء يتعلق بالإنسان، وهذا ما عكسته جل النظريات الفلسفية خاصة فيما تعلق بالفلسفة الوجودية وما انشق عنها من تيارات.

لهذا تنهض الفكرة الجوهرية لهذا المقال بالبحث عن الخصائص والمؤشرات المحيلة على تشرب أدباء عصرنا المعاصر من هذه المذاهب الفلسفية ونهلهم منها، وتقصي مدى تحقق تلكم الأطر في صلب المتن الروائي بما يحمله من خصائص سردية وفنية وخيالية جمالية، والتأكد من فرضية أن الأدب ما هو إلا وجه من الأوجه الكثيرة التي تعبر من خلالها الذات المبدعة عن أفكارها وفق طرق وآليات تعزى إلى أسلوب الكاتب ومنهجيته في نقل أفكاره وحتى معتقداته، وطريقة تفاعل المتلقين معها، ومدى توصلهم إلى إدراك تلك الغايات الدفينة في الصلب الروائي بحيث تغطيها الشبكة السردية والشخصيات الفاعلة لتغدو عالماً موازياً يرتسم للقارئ بوجهيه الظاهري والباطني.

2. المرجعية الفلسفية للوجودية:

تلعب الفلسفة دوراً محورياً ومهماً في الحركة العلمية والأدبية والاجتماعية وغيرها كثير من المجالات الحياتية، لكونها تستغل قدرات الإنسان العقلية والفكرية في فهم مختلف المظاهر المحيطة به وإيجاد تفسير وتعليل الغموض الذي يلف هذا العالم وكشف أسرارها، وقد ركزت على التساؤل في كل شيء علماً تصل إلى الحقيقة، بحيث ظل الأمر هكذا مع جل التيارات والنظريات الفلسفية حتى انفصلت العلوم عنها، لتضطلع بدور التفكير والتفسير في الشؤون الحسية والمجردة وكل ما يشمل الإنسان، والفلسفة الوجودية ما هي إلا واحدة من تلكم النظريات الرامية لفهم سر الوجود الإنساني والطريقة المثلى للتعامل معه "المذهب الوجودي وهو كما يدل عليه الاسم يُعنى كل العناية بالوجود الإنساني وترجع بذور هذا المذهب إلى الكاتب الدنماركي كير كاجور Kierkegaard ... وقد نعى آراءه وتعمق فيها الفيلسوفان الألمانيان: مارتن هيدجر... وكارل ياسبرز... ثم شاع المذهب ودخل مجال الأدب وعمق في تأثيره وتعبيره عن روح العصر خاصة على يد فلاسفة فرنسيين على رأسهم جبريل مارسيل وقد أوجد ما سماه الوجودية المسيحية ثم سارتر"⁽⁹⁾، من هذا يتضح أن الوجودية مرت بمراحل حتى تنضج وتتأسس أصولها لتخرج في قالب متكامل له من التصورات والقدرات ما يعينه على

النظر في عمق الذات الإنسانية ووجودها "وضع كيرجور الأسس الأولى للوجودية، فالإنسان بوصفه الذات المفردة هو مركز البحث، وأحواله الوجودية الكبرى مثل الموت والخطيئة والقلق والمخاطرة الخ هي المقومات الجوهرية لوجوده، والحرية والمسؤولية والاختيار هي المعاني الكبرى في حياته"⁽¹⁰⁾، فوجود الإنسان مرتبط حتما بكل ما يثيره فكريا ونفسيا، ولعل التركيز على الجانب النفسي كان بسبب حالتي الضياع والتمزق الذي أصابت الإنسان بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، إذ بدأت تتحطم الثوابت والركائز التي دأب الإنسان على الاعتداد بها طيلة عهود من الزمن، لهذا انصب اهتمام الفلاسفة والمفكرين إلى جوهر الإنسان وكنهه وطريقة تعامله مع كل هذه التحديات المعيقة له؛ من خلال التحرر من كل القيود والسعي في إرضاء النفس، والتمتع فيها وفي خصائصها وخلجاتها، "...والإنسان الموجود يشكل صورة وجوده باختيار عن حرية، فوجوده سابق على ماهيته التي يحققها بذاته، وسبق الوجود على الماهية فارق جوهرى بين الوجوديين والسابقين عليهم من الفلاسفة جميعا...الاختيار نوع من المجازفة وهي تؤدي إلى نوعين من القلق قلق من أجل تحمل المسؤولية الناشئة عن الحرية فيما اختاره الإنسان ثم قلق آخر على ما تركه الإنسان من إمكانيات باختياره إذ لا يمكن أن يختارها جميعا. وهذا القلق شبيه بالدوار الذي يصيب المرء حين ينظر في هاوية"⁽¹¹⁾، فالإنسان يتحمل في حياته القلق الذي تسببه له اختياراته المبنية على الحرية التامة والمطلقة فيما يراه مناسبا بشرط أن يرتبط ذلك الاختيار بالمسؤولية في تحمل عواقبه ونتائجه مما يفرض عليها قلقا مستمرا إزاء كل شيء تقريبا.

فشعور القلق مترتب عن الوجودية تفرضه المعتقدات التي يؤمن بها الوجودي: "...القلق فإنه إحساس من الطبيعي أن يستشعره الوجودي ما دام لا يريد أن يستند في حياته وتصرفاته وأحكامه إلى إله أو قضاء وقدر، أو أي نوع من أنواع الجبرية، أو ضرب من ضروب القيم الأخلاقية والاجتماعية، ويأبى إلا أن يعتبر نفسه حرا حرية مطلقة. ولما كانت هذه الحرية تستتبع المسؤولية عند الوجودي، لا بد أن يستشعر القلق من هذه المسؤولية"⁽¹²⁾، فالقلق ملازم للإنسان الوجودي الذي يفرض أي أساس مجرد يعينه على مواجهة هذا العالم.

1.2 الالتزام من منظور المذهب الوجودي:

جعلت الوجودية الأدب الملتزم من أسى المؤلفات التي يكرسها المفكر والمبدع ليظهر اهتمامه بواقعه ومجتمعه بغية النهوض به والتحسين من أوضاعه "يسمى الأدب الوجودي القائم على الفلسفة الوجودية: أدب الالتزام أو أدب المواقف وفيه يحدد الكاتب موقفه من مسائل عصره تحديدا تاما إذ لا قيمة مؤثرة للمبادئ التجريدية في ذاتها، دون ربطها بملاستها ودون تخصيصها بموقف معين... ووجود الكاتب لا يتحقق بمجرد الكشف عن الموقف، ولكن لا بد للكاتب من الالتزام في صراع يستجيب فيه لما يوجهه إليه عصره من مسائل هي مثار القلق ومبعث الأمل والألم فيه. والوعي الحسي للكاتب يحتم اشتراكه في مسائل قومه ومسائل العالم من حوله، كي يصور عالمه الذي يحيا فيه، قاصدا إلى تطويره وخلقه خلقا جديدا"⁽¹³⁾، كما يستعرض نبيل راغب الفكرة نفسها حين قال: "وظيفة النثر لأداة طيعة في يد الكاتب للالتزام بمشروع ما واختيار طريقة من الطرق وتوجيه الآخرين إليه، والنثر خير ما يسمى الأشياء وتسمية الأشياء معناها أن تصبح على غير ما كانت عليه قبل تسميتها، فالنثر عبارة عن كشف الأديب للعالم وتقديمه للقارئ ليمارس فيه حريته والأديب يكشف عن العالم وعن الإنسان لنفسه ولغيره من البشر ليحملوا مسؤوليتهم كاملة"⁽¹⁴⁾، فممارسة القارئ لحريته عبر الكاتب تستلزم عليه التحلي بالمسؤولية اتجاه ما يقرره من أفكار استنتجها من المتون السردية، في حين تضطلع مهمة الكاتب بمهمة أكبر وقيمة أعلى حين يتولى على عاتقه أمر كشف العالم.

فالتوجه الوجودي لا يعبأ بالخصائص الفنية الشكلية المشكلة لجنس الأعمال الأدبية وهويتها، ولا بالقيم التي يتضمنها والجماليات الخيالية والشعرية المحيلة على رغبة الشاعر الذاتية في استعراضها ومشاركتها مع جمهور القراء، وإنما الهدف من تلك الأجناس الأدبية أن ترصد الواقع بما فيه وتؤكد على مبادئ الوجودية من خلال مظاهر واقعية يمكن للإنسان أن يشعر بها ويراهها، فتتحقق بذلك مهمة الكاتب الوجودي يقول محمد مندور في هذا الشأن: "ولذلك نادى وجوديتهم بالمسؤولية وبالالتزام وسموا أدبهم الوجودي بالأدب الملتزم، أي الأدب الذي يتخذ له هدفا أساسيا، التزام موقف أخلاقي واجتماعي محدد، من كل حدث فردي واجتماعي أو وطني وبذلك جعلوا القيمة الفنية والجمالية للأدب في المرتبة الثانية بعد القيمة الأخلاقية والاجتماعية الملتزمة... فالأدب الملتزم لا يخترع قصة أو رسالة أو يبشر بقيمة

من القيم بل هو أدب يهدف إلى تصوير الواقع ويقول بأن الوجودية في ذاتها واقع لا قيمة، ولكن يدعو في نفس الوقت إلى إصدار حكم صراحة أو ضمناً، على كل حادثة أو كل موقف على أن يكون هذا الحكم صادراً عن تقدير الشخص الذاتي، ولا مستنداً إلى قيمة سالفة⁽¹⁵⁾. المتأمل في إصرار هذا المذهب على اعتناق الأديب الوجودي لمثل هذه القواعد الراسخة الدالة على الالتزام حتى يعتبر العمل الأدبي سفيراً لمبادئ التيار الأنطولوجي يجد أنها تقترب في الفكرة من الواقعة الاشتراكية؛ بحيث ترى أن الأديب ملزم على بذل موهبته ووهيها للصالح العام حتى تتحقق المنفعة العامة، غير أن المدرك للأساس الفلسفي يجد الفروقات شاسعة بين الاشتراكية والوجودية من حيث المبدأ والمنطلق "...قد أثرت الوجودية في الأدب والنقد الأوروبيين بعامة، حتى عند من ليسوا بوجديين، ومبادئها الفنية تتفق في كثير من نواحيها مع الواقعية الأوروبية والواقعية الاشتراكية، لكن الأساس الفلسفي فيها مغاير في جوهره لهذين المذهبين"⁽¹⁶⁾. فالأدب من وجهة نظر فلسفية وجودية يرتبط بميزتين اثنتين، تتعلق الأولى بضرورة تعلق موضوع الآثار الأدبية برصد الواقع وما فيه من معضلات حقيقية تعتمد إلى نشر القلق والذعر والحزن في نفوس الناس، من خلال تحليل الكاتب لتلك الظواهر وإبداء حقيقتها بالشكل الذي يدل على تجذر القيم والضوابط واللبينات الأولى للواقعية على أرض الواقع، حتى يتحقق القبول لهذا المذهب من قبل الناس، أما الثانية فتتعلق بالأديب نفسه حينما ينجح ويتمكن من التفرد بخصائص تؤهله لينتج نصوصاً تحمل قيماً لا يلتبس المتلقي في مصداقيتها بفعل تحرّي المبدع تقديم صورة عاكسة لما يؤمن من دون أن يتأثر بأي مؤثرات خارجية.

2.2 الذات الإنسانية من منظور وجودي:

سبقت الإشارة من قبل أن الوجودية تبحث في أمر الوجود وتهدف إلى تقصي الحقيقة المرتبطة ارتباطاً مباشراً بالإنسان وواقعه الذي يعيشه، ولأن الفلسفة تبحث في أصل الأشياء قام 'هيدجر' بهذا التأصيل "جاء هيدجر الفيلسوف الألماني... فأقام فلسفة في الوجود مبنية على تحليل الوجود العيني المفرد... والمسألة ليست بحثاً عن الوجود بما هو وجود، بل عن السائل الموجود هو نفسه. وإذا حلل السائل نفسه ووجوده وجد أن الصفة الرئيسة هي مجرد وجوده فهو موجود أولاً... الوجود سابق على الماهية"⁽¹⁷⁾، فالإنسان يجد نفسه أولاً في هذا

العالم وهو دون هوية أو طبيعة، في حين ينحصر وجود الإنسان في حريته وقدرته على الاختيار وبناء صورته التي يريدها لتتشكل بعدئذ ماهيته الخاصة، لقي هذا التوجه الفكري انتقادات بحيث أن وجود الإنسان يسير بالتوازي مع عدد من المؤثرات تتعلق بالبيئة والمحيط الاجتماعي والوراثة وغيرها، يدل هذا على تدخل عدد من العوامل في بناء ماهية الإنسان وحقيقته.

وبشأن علاقة الوجودي مع غيره التي تستلزمها الطبيعة الإنسانية، نلفيه يتأثر مع الغير "إنّ الآنية هي 'وجود في' أي من صفاتها الجوهرية أنها محاطة أو في حالة تعين مع الغير، فليس ثمة مفردة معطاة وحدها. بل كل ذات تفترض بطبيعتها الغير الذي تساكبه وتوجد معه... هذا الغير يستولي على وجود الذات بما يفرضه عليها من أحوال وأوضاع حتى لينتهي الأمر إلى أن تذوب الذات في الغير أو في الناس، فلا تفكر الذات إلا كما يفكر الناس ولا تفعل إلا كما يفعل الناس، ولا تشعر إلا كما يشعر الناس"⁽¹⁸⁾، وهذه العلاقات تستلزم تحلي الإنسان الوجودي بعدد من المسؤوليات "... ومن بين هذه الواجبات ومن أقدسها عنده واجب البقاء للنوع، مما يتمثل في الزواج بما يندرج تحته من مختلف ألوان المسؤولية نحو الجنس الآخر، ونحو الولد ونحو العصبية"⁽¹⁹⁾، فالوجودي عليه الالتزام بواجباته كاملة مادامت له الحرية في الاختيار، غير أن هناك عدد من الاختلافات بين كل فرد حسب ماهيته سواء كان رجل جمال أو رجل أخلاق أو رجل دين يقول عبد الرحمن بدوي: "رجل الجمال والحساسية لا عبرة له إلا بالمتعة، ولهذا فهو ينتهب للذات وسرف في الأخذ منها كلما عرضت له، ولا يرتبط بشيء لأن كل ارتباط أو واجب يقيدّه وكل قيد فيه تعلّق بلحظة مقبلة وأخرى مدبرة... أما رجل الأخلاق فيرى معنى الحياة والوجود في العيش تحت لواء المسؤولية والواجب هما نحو شيء كان أو سيكون، فلا بد إذا من أن يكون كل منهما حاضرا في ذهن صاحبه على الدوام... فعلى الأخلاقي مسؤوليات وواجبات في المجتمع الذي يعيش، وفي الدولة التي ينتسب إليها بل ونحو الإنسانية عامة... أما الرجل الديني فلا يحيا في الزمان، لأنه أشاح بوجهه عن هذه الدنيا، وولى وجهه قبل الآخر، قبل عالم فوق الزمان، لا لأنه تجزئة مطلقة للزمان بل لأنه في مرتبة أعلى ... ولهذا فهو متجرد عن الدنيا وعن الزمان ولا صلة له إلا بالسرمدية"⁽²⁰⁾، فالوجودية تصنف الناس حسب اختياراتهم وانتماءاتهم وأدوارهم المضطلع بها في هذا العالم،

فكل صنف يتقلد سمة وجودية تتماشى مع حريته وما يتبعها من مسؤوليات اتجاه نفسه والمحيطين به.

أما عن الحب من منظور وجودي فهو الذي يتحقق حينما ينجح الإنسان في تحقيق وجوده والتمتع بكل الامتيازات التي يطمح إليها عبر مسيرته الحياتية "الحب في الدرجة الأولى ... شعور الذات بأنها وحدها الموجودة حقا، مما يولد إحساسا بالكراهية لكل ما عدا الذات ولذا فقد أصاب من حللوا الكراهية بربطها بالحب، حين قال نيتشه: إن الحب الأعظم هو أسوأ كراهية ... والقمة العليا التي يجتمع فيها أسوأ حب مع أعلى كراهية هي الغيرة لأنها جامعة لأعمق محبة بالنسبة للمحبوب، وأشد كراهية لما عداه وهي لهذا حب كاره، فهي إذن الوحدة المتوترة بين الحب والكراهية"⁽²¹⁾، فالحب مرتبط بالكراهية حسب الوجوديين حينما يتعلق الأمر بالخيط الرفيع الفاصل بينهما، ويمكن أن يجتمعا معا حين تتحقق الغيرة، فالتصور العام لشعور الحب والكره يعنى إغناء الذات بمشاعر مستمدة من الآخر والتماهي فيه وحتى تملكه، وغيرها من التبعات التي تحكم العلاقات الإنسانية، من حيث رغبة الإنسان الوجودي في الوصول إلى أسوأ درجات الاكتفاء والرضا.

لطالما كان الموت هاجسا من هواجس الوجودية، كما كان أنجع طريقة لإثبات الوجود "...إذ تبصر الذات أنّ وجودها وجود للموت ووجود للعدم ففي تجربة الموت تشعر الذات بكل معاني وجودها: بأنها مفردة، لأن الفرد يموت وحده ولا يمكن لإنسان من الناس أن يحمل عن غيره عبء الموت أو ينوب عنه فيه، ومن هنا تدرك الذات أنها مفردة وحيدة مع مسؤولياتها الهائلة، وبأنها للفناء وأنّ الفناء يحاصرها من كل جانب، ولهذا كان العدم عنصرا جوهريا أصيلا في تركيب الوجود، فكل وجود هو وجود لفناء ووجود لعدم"⁽²²⁾، ويمتزج الموت بالألم والقلق والخوف والفرح من مجهول آت لا يمكن للفرد الفرار منه أو تأخير مواعده، لهذا يعتمد الإنسان الوجودي إلى أن ينظم حياته وألوياته وفق هذه الحقيقة "...الموقف الرئيس بين هذه المواقف الحدية أو النهائية كلها هو الموت وهو موقف يطبع بطابع النسبية في كل ما أفعله، ولا بد أن أكيف أعمالي وفقا له، ويتلوه موقف الألم، الذي يقف من خلف الموت، ولا سبيل إلى الخلاص منه أيضا وكل محاولة للقضاء عليه هي نصر جزئي موقوت، والموت والألم كلاهما يتم بلا مشاركة فعالة... مثل الكفاح والخطيئة وكلاهما ضرورة ولا مفر منه أيضا

شأن كل موقف نهائي⁽²³⁾، يعيش الإنسان الوجودي حياته انطلاقاً من ضوابط عدة، تتأرجح بين ترك العنان للذات الإنسانية ولما تهدف إليه ما دامت الحياة مرهونة بالموت والعدم، وكذا بين التخطيط لعيش هذه الفترة الزمنية المؤقتة وفق حس عالي بالواجب والمسؤولية والحرية المشروطة إن تحققت معها الممارسة والهوية الوجوديتين.

3.2 الفلسفة الوجودية من زاوية عربية:

ككل التيارات الأدبية والنقدية المتبناة من الضفة الغربية، كالكلاسيكية والرومنسية وأدب الالتزام والرمزية وغيرها التي ما فتئت أن استقرت في عرف الأدب العربي بما يحمله من عراقية وخصوصية، نلني الذهنية الأنطولوجية الوجودية حاضرة في تصورات الكتاب وكتبتهم، اقتداءً بما كان سائداً في أوروبا كما تناولها النقاد العرب بالدراسة والتحليل أمثال محمد مندور، ونبيل راغب ومحمد غنيمي هلال وغيرهم، إذ فصلوا في أبجديات المذهب وأهم أفكاره ومنهم من حذر من تبعات الانقياد وراء تلك الشعارات دون الغوص عميقاً في مراميها وأهدافها، يصفها 'محمد مندور' قائلاً: "... تلك الموجات التي تسمى الآن بالوجودية، والتي تشبه أن تكون عقيدة أو ديناً جديداً يسعى لاكتساح كافة الديانات، والحلول محلها في قيادة البشر عبر الحياة. والواقع أنّ الحرب العالمية قد أحدثت في الضمير الإنساني أزمة بالغة العمق، فأخذ الناس إزاء ما صاحبها من غدر وعنف واستخفاف بالمثل والقيم ويتشككون في حقيقة تراث الإنسانية الروحي كله ويعودون إلى التأمل فيما كان المتشككون والمتمردون قد سبق وأن أكدوه، من أنه لا حقيقة لوجود الله أو لوجود المثل العليا والقيم الأخلاقية الخالدة، وجمعوا كل هذه الآراء وبلوروها في بوتقة واحدة خرج منها وما يعرف الآن بالوجودية كمذهب فلسفي"⁽²⁴⁾.

الوجودية التي تحمل بين ثناياها القلق واليأس والضيق تؤثر بطريقة أو بأخرى في تعامل الناس مع مختلف أمور حياتهم بالسلب أكثر من الإيجاب، إذ أصبح للإنسان الحرية الكاملة في فعل ما يراه مناسباً بشرط أن يتحمل مسؤولية أفعاله أمام المجتمع الذي لن يمثل سلطة قهرية أو ردعية بالنسبة له، في حين أن 'جون بول سارتر' نفى بطريقة غير مباشرة أن تكون الوجودية الوجه الثاني للسريرية بعد تراجع هيمنتها، حين تمادى المنتسبون إلى الوجودية في الإشهار بحريتهم المطلقة والافتخار بها والإتيان بكل ما هو خارج عن العرف

والمألوف، ليؤكد على سعي التيار الوجودي لإثبات الحقيقة والسير بمحاذاة الواقع بالرغم من كل المخاطر المحيطة بالإنسان الوجودي من ضياع ولا استقرار ولا إيمان.

كما درس 'محمد إبراهيم الفيومي' في كتابه "الوجودية فلسفة الوهم الإنساني" آثار هذا التوجه الفلسفي على الشباب العربي ومخلفاته حين قال: "حين نقدم الوجودية في هذا الوقت الذي كثر فيه الحديث عن الشباب واتجاهاته لا نعني من تقديمها سوى ما يظهر لنا من أن ثمة علاقة بين الشباب وثقافته وبين هذه الأنماط من هذه الفلسفات الواهمة، أي التي تتعامل مع الوهم الإنساني... فهي من جانب تمثل فلسفة اليأس العقلي، ومن جانب تدعي فلسفة التمرد، ومن آخر فلسفة القلق والتوتر، وأخيراً هي الشيء الجديد السهل التقليد للشباب"⁽²⁵⁾، يظهر من خلال هذا القول انسياق الشباب العربي إلى كل ما يصدر عن الغرب من نظريات وأفكار مهما كانت طبيعتها، بحكم ولعهم بالتقليد حسب ابن خلدون "المغلوب مولع بتقليد الغالب".

وإن كان ذلك التيار الفلسفي الوجودي ما هو إلا ردة فعل عنيفة عما ارتكبه الإنسان من شنائع وفظائع في حق أخيه الإنسان بمجرد اندلاع لهيب الحربين العالميتين، فقد كفر الإنسان الأوروبي خاصة بكل شيء وهدم كل الثوابت والنظم، وغلب سيادة النفس وشهواتها على أي قيمة أخرى، إلى درجة احتقار الحياة والحكم بعدم جدواها وتفضيل الانتحار والموت عوض العيش في ألم وهواجس وضياع وانشقاق، إذ يتفق جميع المشتغلون بهذه الفلسفة أنها تحمل أشبه ما يسمى بالأعراض الجانبية المتمثلة في القلق والهجران أي وحدة الإنسان واليأس الذي يقضي على أي رفق له يمكن أن يؤديه للمستقبل، في حين برر الوجوديون هذا التشنت والضياع بمثابة ضريبة كون الإنسان سيحظى بحرية مطلقة خالية من أي شوائب، فلا يمكن لأي قوة أن تفرض سلطتها عليه، سواء كانت دينية أو أخلاقية أو اجتماعية، ولعل القوة التي تؤمن بها الوجودية حسب منظورها يتعلق بالتعاون والتحلي بروح المسؤولية: "...لما كان العالم يسير قدماً كل يوم نحو التكافل التام بين كل أجزائه، مما يؤدي إلى اشتراكها جميعاً في الأمور العامة التي تطرأ عليها والأحداث الكبرى، بل والصغرى التي تمرّ بها، فإنّ الشعور بالمسؤولية الكلية... سيكون من نتائج هذا كله أن تواجه الإنسانية كلّها كتلة واحدة، مشكلة مصيرها المشترك، فتفكر في الموت العام الذي ينتظرها كلها، ويستبد بها القلق من

جرائه وكأنه شعور بالقلق العام لن يعفى منه إنسان⁽²⁶⁾، من أجل هذا تعالت الأصوات المفكرة العربية تحذر من وطأة هذا التوجه على الأمة وآثاره الوخيمة، خاصة وأننا نعيش اليوم حالة التخلف والمهانة فلا نقوى على ذلك التغيير الذي يقف بندية في وجه هذه الأفكار المنحرفة، التي تحمل في ظاهرها بؤادر الخير والصالح للناس والحرية، في حين يبذل الإنسان في سبيلها كل ما يملك حتى حياته التي أقنع بأنها مزرية ولا أهمية لها.

3.تمظهرات الوجودية في رواية 'الواجهة':

عرف أدبنا العربي عبر تاريخه الطويل العديد من التغييرات والتطورات المسيرة لروح العصر ومقتضياته، فقد تفردت الإنتاجات الأدبية في فترات الأولى بخصوصيتها وروحها العربية الأصيلة المحيلة على طبع الناس آنذاك ومعتقداتهم الخالصة الخالية من أية مؤثرات، غير أن الأوضاع اختلفت مع زحف الاستعمار الغربي على البلاد العربية، وانفتاح العالم على نفسه حينما انتقد نجم الثورات الصناعية ليتغير شكل العالم، وطريقة تفكيره من خلال ازدهار العلوم بشتى مجالاتها واستحداث أنظمة وهياكل تشجع على العلم والمعرفة، والأدب العربي لم يستثن من هذه الحركية، خاصة في العصر الحديث والمعاصر، إذ تفاعل المبدعون العرب مع التيارات الغربية وتبنوها من خلال مؤلفاتهم، وما رواية 'الواجهة' للروائي المصري 'يوسف عز الدين عيسى' إلا تجسيد لذلك التأثير، فقد جمع الكاتب في روايته بين العلم والأدب والفلسفة، قصد منها تقديم تحليل للواقع بطريقة رمزية، وهو يعد كاتباً متعدد الاهتمامات والمواهب "تنوعت أعماله تنوعاً كبيراً نظراً لتنوع ثقافته ودراساته واهتماماته. وتأثر كثيراً بروح العصر بكل ما ينطوي عليه من علم وأدب وفلسفات وموسيقى وكل مظاهر الحداثة. ورغم شغفه بالبحث في الإنسان وحقيقة الوجود والغوص في أعماق النفس البشرية لسبر أغوار البشر إلا أن أسلوبه تميز بالسلاسة والشاعرية"⁽²⁷⁾، فهو أديب متميز يستثمر متونه السردية ليسلط الضوء على قضايا فلسفية عميقة، يصعب على الفرد استيعابها في شكلها الأول فيعمد 'يوسف عز الدين عيسى' إلى إعادة قولبتها في متن سردي بأسلوب بسيط وشيق وسلس.

1.3 ملخص رواية "الواجهة":

تدور أحداث الرواية حول البطل 'ميم نون' الذي وجد نفسه فجأة في مدينة كل شيء فيها مثالي، دون أن يتمتع بأي ذاكرة سوى أنه جاء إليها لبحث عن الحقيقة، تستولي على بطل الرواية العديد من التساؤلات ويبقى ضائعا في تلك الفترة لمدة معينة من الزمن، حتى يستبد به الجوع، فيقرر بعد يأس الدخول إلى مطعم فيدرك هناك أنه سيحظى بالمأوى والطعام مجانا لسنة كاملة هدية من مالك المدينة بحجة الترحيب به، يجد البطل نفسه وحيدا في تلك المدينة فلا يجد إلا النادلة اللطيفة ليقتراح عليها زيارته في منزله ليتبادلا أطراف الحديث، حول أمر هذه المدينة المريبة من حوله، يبدأ أن طلبه ذلك شيء فهمه لتشكوه النادلة إلى الجهات المسؤولة في تلك البلاد، فيحرم 'ميم نون' من الامتيازات المجانية ويصبح لزاما عليه أن يدفع لقاء طعامه ومسكنه، ولن يتأتى له ذلك إلى عبر الدوران في الطاحونة، اكتشف ذلك الأمر من مكتب استعلامات المدينة بحيث صُنع بأن جميع سكان المدينة محكوم عليهم بالإعدام فهو لن يستطيع أن يغادرها حتى يُنفذ فيه الحكم، لتبدأ رحلة مشقته في مدينة لا يكاد يجد لها ولا لأهلها تفسيراً مهما حاول، بعد أن يجبر على الدوران في الطاحونة والسياط تنهش ظهره في كل مرة وذلك ثمن حصوله على بضع قروش بالكاد تسد رمقه، تعرض البطل للنبد من قبل كل سكان المدينة بسبب طلبه ذاك، وفي مرة من المرات وهو عائد إلى منزله منهك القوى يجد في طريقه مبنى يحمل لافتة تطلب من المارة الذي يشعرون بالوحدة الدخول إليه، فيلججه ويتفاجأ بالجو الاحتفالي وكذلك بحصوله على زوجة حسب عرف تلك المدينة بمجرد أنهما تبادلا الابتسامات، غمرته السعادة لفترة قصيرة من الزمن ثم سرعان ما تلاشت حين أدرك مسؤولياته الجديدة من إعالة لنفسه ولزوجته معه. وأيضا حين اكتشف خيانة زوجته له ، فقد اكتشف بسببها جزءا خلفيا للمدينة يناقض في كل شيء المدينة التي وطأها لأول مرة، تظهر فيه معالم الفجور والخلاعة، وتذوب فيه كل القيم والأخلاق المتجسدة في المدينة الناصعة التي يعاني فيها كل الولايات.

بعد رجوعه من ذلك العالم الموازي إلى منزله يجد أمامه طفلا وطفلة منحهما له مالك المدينة، فيحمل على عاتقه عبئا جديدا ممثلا في تربية الطفلين وإعالتهم فتقتصر حياته في تلك الفترة على جمع المال من خلال الدوران في الطاحونة، وبعد أن توفي ابنه وإصابة ابنته بالجنون وتمادي زوجته في الخلاعة، يجد نفسه مهموما مجبرا على الاهتمام بابنته المجنونة

وهو منهك القوى يمتلكه الحزن والقلق، بعدها يتعاون ويجتمع أهل المدينة على بناء برج كبير من أربعين طابقا خصيصا له كي ينجز مهمته النبيلة المتمثلة في البحث عن الحقيقة، والمفارقة أنه لن يحظى بأي امتياز إذ يتحتم عليه صعود الدرج ويحرم عليه استعمال المصعد، وكذا تناول الطعام في مطعم البرج، إلى جانب هذا عليه الدوران في الطاحونة حتى يسدّد القرض الذي أخذته زوجته قبل تركها إياه، وإطعام نفسه وابنته في ظل الارتفاع الجنوني للأسعار في المدينة، ليسدل الكاتب الستار على روايته بموت ابنة 'ميم نون' جوعا، وبموت والدها ورائها حزنا عليها، وظهور شخص آخر في تلك المدينة من العدم يحمل المهمة نفسها التي أوكلت إلى 'ميم نون'.

12.3 الملامح العبثية والوجودية في رواية "الواجهة":

ضمّن الكاتب في متنه الروائي العديد من القضايا الوجودية بحيث أصبحت روايته تعبيراً حياً ومباشراً للقارئ العليم- عن تلك الفلسفة بأسلوب سردي شيق ومنظم، إذ جعل بطل الرواية في حيرة وقلق تام حول مصيره في مدينة لا يعرف عنها شيئا "لا يذكر من أين أتى، ولا لأي غرض جاء، ولكنه في صباح أحد الأيام وجد نفسه في هذه المدينة التي لا يعرف عنها شيئا"⁽²⁸⁾، فالشخصية الرئيسية تعكس فكرة أن الوجود سابق للماهية فالإنسان في تلك المدينة يوجد قبل أي شيء آخر، بعدها تبدأ رحلة البحث عن هويته أولا وعن طريقة تعامله مع هذه المدينة ومع مالكيها اللذان يمتصانه كل يوم أكثر ثانيا.

وأكثر ما شغل بال 'ميم نون' أنه لا يعرف أحدا في تلك المدينة فأحساسه العميق بالاغتراب والوحدة خلّف له شعورا عميقا بالحزن بالرغم من أن جميع المارة في الطرقات كانوا يرحبون به بابتسامات عريضة لكن دون أن يحظى بعلاقات حقيقية وحتى محادثات طويلة في بادئ الأمر "إنه لا يعرف من أين جاء؛ إذ لو كان يعلم من أين جاء لعاد إلى المكان الذي جاء منه، فربما يعرف هناك بعض الناس أو يعرفونه"⁽²⁹⁾، حتى خادم منزله نصحه بالوحدة قائلا له: "الوحدة خير من جليس السوء والإنسان يعتاد الوحدة بمرور الزمن، ومن يشغل ذهنه بشيء ذي قيمة لا يشعر مطلقا بالوحدة، اقرأ كتابا أو اكتب كتابا"⁽³⁰⁾، وفي المدة التي تمكن فيها 'ميم نون' من البقاء بمفرده ما انفكت التساؤلات تستلب وقته وجهده للإجابة عنها "شعر بأنه غريب حتى عن نفسه إنه أشبه بقارب صغير تتقاذفه الأمواج في محيط تجتاحه عاصفة

عاتية، فهو لا يعرف اسم هذه المدينة، ولا يعلم من أين أتى ولا لأي غرض جاء إنه لا يعلم شيئاً⁽³¹⁾، ظهر هذا الشعور والتركيب في أكثر من موضع في الرواية "إنه في شوق شديد لمعرفة اسم هذه المدينة، التي لا يزال مجهل اسمها، كما مجهل سبب قدومه إليها ومن أي مكان أتى، هل هي المدينة الفاضلة التي تحدث عنها الفلاسفة؟ هل هي اليوتوبيا؟ إنه لا يزال تأمها لا يعرف شيئاً⁽³²⁾، خصص الكاتب من روايته عددا من الصفحات ليتجول القارئ مع البطل ويشعر بالحيرة نفسها وأيضا من أجل أن يصف تلك المدينة البيضاء الناصعة فلا جرائم فيها ولا فساد، وجميع الناس يتمتعون بالسعادة والفرح لا يكاد ينغص جوهم بشيء يذكر، وضع التحول في الأحداث كان حينما شهد البطل إعدام أناس كان على تواصل طفيف معهم بسبب أمر من مالك المدينة، دون أن يهتدي لسبب مقنع أدى لإعدامهم.

تبدأ الأمور في الإيضاح نسبيا بالنسبة للبطل والمتلقي معه حينما يزور 'ميم نون' مكتب الاستعلامات ويتلقى أجوبة لأسئلته المورقة "أولا اسم المدينة لا يدل على شيء ستمها كما تريد ثانيا- المهمة التي أرسلت من أجلها إلى هذه المدينة: هي البحث عن الحقيقة. ثالثا- من أي مكان أتيت: أتيت من مكان مجهول.

رابعا: السر الرهيب الذي يخفونه عنك هو: جميع سكان هذه المدينة بلا استثناء محكوم عليهم بالإعدام.

خامسا: المدة التي ستقضيهما في هذه المدينة: طوال حياتك حتى يحين موعد تنفيذ حكم الإعدام فيك⁽³³⁾، أول معضلة تشغل البطل حين يتمعن في تلك الحقائق، كيفية التعامل مع الموت والخوف والفرح من هذا الأمر الجلل، والناس لا يملكون حيلة أمام هذا القرار الظالم حسبه، إذ يعدم أناس وأطفال لا ذنب لهم، والأدهى من هذا عدم مبالاة سكان المدينة الذين ينعمون بخيرات وأموال ومنازل فخمة بهذا القدر المسلط عليهم من قبل مالك ظالم، فيسأل 'ميم نون' الشرطي "ما قيمة كل هذه الخيرات إذا كان الإنسان في هذه المدينة يعيش خائفا، ينتظر الإعدام في أية لحظة؟ لماذا لا يبحث مالك المدينة عن هواية أخرى غير إعدام الأبرياء؟ فقال الشرطي، وهو لا يزال مبتسما: نحن لا نفكر في ذلك كلنا سعداء، لا نفكر إلا في اللحظة التي نحن فيها، هذا هو سر سعادتنا"⁽³⁴⁾، تنبني الرواية على فكرة كيفية تعامل الناس مع هذا القدر المحتوم، وكذا تعامل البطل نفسه الذي وضع له الكاتب شخصية وذهنية تخالف

بقية الناس، فهو دائم التساؤل كثير التعب والحزن، لا يكاد يجد مخرجاً من ثوارته الفكرية ومما يعانیه من ظواهر أضنته وأتعبته ولم يجد لها حلاً إلا بعد انتهاء حياته.

شغلت البطل مسألة حاكم المدينة الذي تضاربت الآراء بشأنه وفي هويته ومخططاته فيما يخص سكان المدينة "...مالك المدينة يلذ له من أن لآخر أن ينفذ حكم الإعدام في أي إنسان يقع عليه اختياره، تلك هي هوايته المحببة، وإذا كان لكل إنسان عادي الحق في أن تكون له هواية، أفلا يحق لمالك المدينة أن تكون له هو أيضاً هواية، في مقابل ذلك الخير العميم الذي يغمر به جميع أهل المدينة"⁽³⁵⁾، يظهر من خلال هذا المقطع السردي عبثية الحكم والتسيير في تلك المدينة انطلاقاً من استنتاج الشخصيات الفاعلة في المتن السردي، فالاعتباطية هي ما تحرك أهواء الحاكم وقرارات الإعدام العشوائية حسبهم، وكذلك قدراته الهائلة بحيث يعجز السكان على إدراكها، ليفصل السارد في صفة أخرى يتميز بها الحاكم آل وهي الصانع "...الأعجب من هذا كله ما يقال من أننا جميعاً، أي جميع سكان هذه المدينة، ما نحن سوى دُمى صنعها مالك المدينة بنفسه وهو الذي يحركنا كيف يريد، يحركنا بجهاز للحركة بعيد المدى، كالجهاز الذي يفتح التليفزيون ويقلعه من بعيد"⁽³⁶⁾، يعتقد بعض من سكان المدينة أن إرادتهم مسلوبة وأن القرار لا يقع بين أيديهم، في حين يجد 'ميم نون' هذا الافتراض يصعب تصديقه:

"لا هذا غير معقول، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا صنعنا؟

-لئلهو بنا، وليجعل لوجوده معنى"⁽³⁷⁾، فالصانع يجعل من سكان المدينة أداة تسلية يملأ بها وقت فراغه، يستمتع بخوف الناس وبتوسلاتهم حتى يتحقق وجوده بفضل تلك الكائنات ويجد لحضوره معنى، وتؤكد الشخصيات الفاعلة في النص هذا التصور "...إذا وجدت نفسك في مكان منعزل، ليس به سواك ولا يعرف عنك أحد شيئاً، فهل يكون لوجودك معنى؟ إننا هنا نتحدث عن مالك المدينة ليلاً ونهاراً، وهو يستطيع أن ينفذ فينا حكم الإعدام في أية لحظة، أليس هذا ما يضفي على وجوده معنى"⁽³⁸⁾، الإشكالية الوجودية في الرواية لم تتعلق بالناس فحسب وإن كانت هناك محاولات منهم لفهم سبب الورطة التي يعيشونها، وإنما تعلق بالنتائج المتوصل إليها من قبلهم على أنهم كائنات لا حول لها ولا قوة تتحرك بمشيئة الحاكم ومالك المدينة الذي صنعهم وصنع قراراتهم، حتى بحثهم عن الحقيقة كان بسبب رغبة مالك

المدينة "إنه يحب كل من يحاول الوصول إلى الحقيقة، إنه يفخر بأن الدمى التي صنعها تفكر وتتأمل، لا بد أنه الآن معجب بنا كل الإعجاب"⁽³⁹⁾، حتى التفكير لم يصدر من ذات مستقلة وإنما بإيعاز من مالك المدينة الذي يشجع الناس على البحث عن الحقيقة ويجعلها مهمة للذين يتميزون بالتفرد والتميز وكل هذا بغية تحقق وجوده هو .

النظام العام الذي يسود المدينة الفاضلة الخالية من كل مظهر من مظاهر الشرور والآثام يتحكم فيه مالك المدينة الذي لا يعرفه أحد ولم يره أحد، هذا المالك الذي يحظى بالتقدير والإجلال وكثيرا ما يتلقى الشكاوي والامتعضات والتوسلات، جميع أهل المدينة يعرفون مزاج المالك المتقلب " ... كل شخص يحكم عليه بالإعدام يحل محله شخص آخر أو عدة أشخاص في بعض الأحيان، ومالك المدينة يحب التغيير، نحن دمي جديدة، فهو يصنع دمي ثم يعدمها ويصنع غيرها، إنه لا يحب الركود يحب رؤية الوجوه الجديدة. هذه هي رغبته ونحن جميعا لا نملك سوى السمع والطاعة فهو يملك المدينة وكل من فيها وما فيها، وفي استطاعته أن يخسف بنا الأرض، ويدمر كل ما في المدينة بمجرد أن يضغط على أحد الأزرار، ولذا فنحن نشكره على كل لحظة تمر بنا ونحن على قيد الحياة"⁽⁴⁰⁾، يظهر هذا المقطع أن من الهواجس والأسئلة المحمومة التي تستبد بأهل القرية تبدي إذعانها في الأخير لمشية مالك المدينة، فلا حرية لسكان المدينة في اتخاذ أي موقف حينما يتعلق الأمر بالمالك، بل على العكس من ذلك يقدمون على شكره والثناء على ما يقدمه لهم من امتيازات، غير أن هذا الموقف لا يشترك فيه جميع سكان المدينة، فمنهم من يراه مالكا شريرا لا عمل له سوى اللعب والتسلية بأرواح كائنات حية تملك مشاعرا وأحاسيسا، في حين هناك من يقف بين المنزلتين: "مالك المدينة لا هو بالخير ولا بالشرير، فالتفت إليه 'ميم' وقال: ماذا تعني بذلك؟ هل يوجد غير الخير والشر؟ نعم يوجد العدم"⁽⁴⁰⁾، ليدل هذا على أن هناك من يعتقد بعدم وجود أي قاعدة أو طريقة يمكن من خلالها تفسير ماهية هذا المالك مما يحيل على تنامي الشك المطبق على عقول بعض الناس.

وتظهر العبثية بشكل أكثر حينما يفشل البطل في التعامل مع كل الأحداث المتلاحقة، بحيث لا يقوى على دفعها ولا تجاهلها مما يجعله يرغب في ترك هذه الحياة فهي أسهل طريقة يتخلص منها من السياط التي تلهب جسده كل صباح، ومن صعوبة تحصله على وجبة

الطعام أو حتى الهندام المناسب في ظل الارتفاع الجنوني للأسعار، خاصة حين اكتشف الجزء الخلفي من المدينة الذي ضم تقريباً كل الناس الذين التقى بهم وعرفهم، وإدراكه أخيراً سبب دورانه دون جميع الناس في الطاحونة، مما يجعلنا نصنفه ضمن فئة الرجل الأخلاقي الذي أثر إلا العمل بجهد وجهد من أجل كسب ماله عكس بقية سكان المدينة، إلى جانب هذا تمتع البطل بحس المسؤولية إلى آخر لحظة من حياته، على الرغم من مشقته الكبيرة في سبيل كسب المال إلا أنه وفر الطعام لعائلته وأولاده حتى عجزه في النهاية على الاعتناء بابنته التي ماتت جوعاً.

أما في علاقة بطل الرواية بزوجته التي افتتن بجمالها فلم تكن علاقة موفقة إذ لم يحسن اختيار شريكة حياته، لقد أضافت تلك المرأة الكثير من المآسي والمتاعب الإضافية كان يمكن للبطل تجنبها لو ابتسم في ذلك الاحتفال للمرأة التي كانت جالسة رفقة زوجته، تلك المرأة مدت 'ميم نون' بالكثير من المساعدة حينما أجلت حكم إعدامه من خلال التوسل للشخص المقرب من مالك المدينة، جعله هذا يتحسر ويتألم ويندم على اختياره، لكن ذلك لم يدفعه إلى التخلي عن زوجته الاستغلالية والجشعة. لقد أكنّ لها مشاعر الحب والتقدير وحاول التمسك بها حتى أنّ شعور الغيرة تملكه عليها في أكثر من مناسبة، من بينها حينما كان يجرها معيدا إياها إلى بيته بعد هرجها في الجزء الخلفي من المدينة، ويظهر تفاني البطل أيضاً في مساعدة الناس من حوله حينما تعلق الأمر بالبحث عن الحقيقة بالرغم من قهره وحزنه على وفاة ابنه ومرض ابنته وذهاب زوجته، بعد لمسّه تشجيع الناس له ورغبتهم في مساعدته.

4. خاتمة:

عالجت هذه المقالة تبلور الفكر الوجودي في الإنتاج الأدبي، وقد تم التطرق فيها أول الأمر إلى العلاقة بين الفلسفة والأدب والاختلاف بين رؤية الفلاسفة اليونانيين للأدب الذي يشجع حسهم الخيال والوهم عكس الفلسفة التي تولي أهمية بالغة للحقيقة والمنطق، ورؤية الفلاسفة المحدثين له بحيث أضحى الأدب وسيلة ناجعة وفعالة لنشر العمق الفلسفي وفق مخططات وترسيمات سردية متنوعة، وهذا ما تجسد في المتون الروائية لكل من 'فريدريك نيتشه' و'ألبر كامو'، إضافة إلى أن الفلسفة الوجودية مرت بمراحل حتى تنضج وتعرف

الوجه الذي هي عليه الآن وقد انشقت عن هذا المذهب العديد من التيارات كالعبيثية والعدمية. حملت الوجودية كثيرا من الأفكار التي جاءت كردة فعل على توحش الإنسان فترة اندلاع الحرب العالمية الأولى والثانية، من بينها طريقة تحقيق الإنسان لوجوده وذاته في ظل تمتعه بالحرية في الاختيار واقتنائها بالمسؤولية، والعلاقة التي تجمع الإنسان بغيره، ونظرة الوجودية للموت، كما تم التطرق إلى تصور الوجودية للأدب وضرورة تحديد الكاتب لمواقفه فيما يخص مسائل عصره.

وكيفية تفاعل المفكرين العرب مع هذا التيار الجديد، وانعكاسات أفكاره على الأدب العربي والفئات الناشئة، بما فيه من تحفظات على طريقة تسيير الإنسان لحياته ورفضه لكل الثوابت والقيم، وعلى صبغة السوداوية والخوف والقلق من المجهول الطاغية على حياة الوجودي.

بعد استعراض مجمل الخصائص المميزة للتيار الوجودي، عمدنا إلى تقديم قراءة خاطفة لرواية 'الواجهة' المتميزة التي أبانت عن تحكم المبدع في التقنيات الأسلوبية والتعبيرية وكذا الحكايات السردية، تظهر فيها جليا رغبة الكاتب في تجسيد أفكار الوجودية على أرض الواقع، فقد حققت الشخصية الرئيسية وجودها من خلال اختبارها الموت دون مشاركة، كما عاشت القلق الوجودي والاستفهامات الكثيرة حول واقعها ومن يتحكم فيه وكذلك اختبرت العلاقات الناجحة أحيانا والفاشلة أحيانا أخرى في مقام محاولة التأقلم مع تلك الحياة المهمة والتعيسة. أما بشأن النهاية المفتوحة للرواية حيث استبدل 'ميم نون' بدمية جديدة أخذت مكانه وحملت مهمته نفسها ووضعته نفسه من خلال كسب المال عبر الدوران في الطاحونة، لكن ذلك لا يعني أن الاختيارات ستكون نفسها بحكم تشابه الأوضاع والظروف نفسها.

تتسم الرواية بالتشويق فالكاتب يتدرج في تفسير الوضع العام الذي تعيشه الشخصية الرئيسية فتزداد رغبة المتلقي في معرفة أسرار هذه المدنية المهمة بالنسبة للبطل، فهو يكتشف معه معالم وأسس تلك المدنية من واجهة تمثل الخير والمثل العليا، ليصدم والبطل أن الموت يتربص بمن فيها في كل لحظة وأيضا بجانبها الخلفي المعاكس لكل ما سبق، كما أنها تحرك في ذهنه العديد من الأفكار والخواطر، فالقارئ قد يعتمد إلى تخيل ظروف

أخرى وإلى اتخاذ قرارات مغايرة مكان التي اتخذها البطل في المتن ، يبدأ أن الطابع والجو العام للوجودية انحصار في كونه مأساوي حين يهب الموت ويهدم الملذات ويقضي على الحياة فيتحقق بذلك الوجود الحقيقي للذات الوجودية سواء كان ذلك في الواقع المحسوس أو المجرد المتخيل.

5. الهوامش:

- مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي. دار قباء للطباعة والنشر (القاهرة). 1998. ص76
- نفسه. ص77.
- كريمة بلعز، الفلسفة والأدب. مجلة متون. جامعة مولاي الطاهر سعيدة. مج10. ع2. ديسمبر 2018. ص15.
- فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت. دار خطاب. (عمان). ط1. 2016. ص31.
- نفسه. ص178.
- ألبير كامو، أسطورة سيزيف. تر أنيس زكي حسن. دار مكتبة الحياة (بيروت).
- ألبير كامو، الغريب. دار تلاتنقيت (الجزائر). 2016. ص50.
- نفسه. الصفحة نفسها.
- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن. نهضة مصر (القاهرة). ط9. 2008. ص320.
- عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية. المؤسسة العربية للنشر. (بيروت). ط1. ص1980.
- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن. مرجع سابق. ص320.
- محمد مندور، الأدب ومذاهبه. نهضة مصر (القاهرة). 2008. ص160.
- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن. مرجع سابق. ص331-332.
- نبيل راغب، المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية. المكتبة الثقافية الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة). 1977. ص161-162.
- محمد مندور، الأدب ومذاهبه. مرجع سابق. ص158.
- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن. مرجع سابق. ص333.

- عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية. مرجع سابق. ص 23.
- نفسه. ص 24.
- نفسه. ص 48.
- نفسه. ص 49.
- نفسه. ص 47-48.
- نفسه. ص 297.
- نفسه. ص 24.
- نفسه. ص 25-27.
- محمد مندور ، الأدب ومذاهبه. ص 150
- محمد إبراهيم الفيومي، الوجودية فلسفة الوهم الإنساني. الهيئة العامة لشؤون المطابع (القاهرة). 1984. ص 16.
- عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية. مصدر سابق. ص 19.
- يوسف عز الدين عيسى، الواجهة. الدار المصرية اللبنانية (القاهرة). ط 1. 2015. ص 388.
- نفسه. ص 07.
- نفسه. ص 11.
- نفسه. ص 19.
- نفسه. ص 22.
- نفسه. ص 31.
- نفسه. ص 57.
- نفسه. ص 51.
- نفسه. ص 50.
- نفسه. ص 111.
- نفسه. الصفحة نفسها.
- نفسه. ص 112.

- نفسه. ص 113.
- نفسه. ص 128-129.
- نفسه. ص 139.